دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التغيرات الإدارية و العمرانية و السكانية في مدينة القدس في فترة الاحتلال الفرنجي الصليبي : 492 - 583 هـ / 1099 - 1187 م
المصدر:	مجلة المنارة للبحوث والدراسات
الناشر:	جامعة آل البيت - عمادة البحث العلمي
المؤلف الرئيسي:	النقر، محمد الحافظ مصطفى
المجلد/العدد:	مج 9, ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2003
الشهر:	كانون الثاني / ذوالقعدة
الصفحات:	191 - 218
رقم MD:	339561
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, IslamicInfo, EcoLink, EduSearch, HumanIndex
مواضيع:	الكثافة السكانية، القدس، التخطيط الإداري، الإدارة العامة، التخطيط العمراني، التوزيع السكاني، الحروب الصليبية، الحروب الصليبية، الكنائس، الأديرة، المستشفيات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/339561

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التغيرات الإدارية والعمرانية والسكانية في مدينة القدس في فترة الاحتلال الفرنجي (الصليبي) (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)

تاريخ تسلّم البحث ٢٠٠١/١١/٢١ تاريخ قبوله للنشر ٢٠٠٢/٤/١٥

محمد الحافظ النقر*

Abstract

This study sheds light on the administrative, architectural and demographic changes which occurred in Jerusalem during the period of Crusaders occupation which lasted for nearly eighty years from 492 A.H./ 1099 A.D. to Saladin's restoration of the city in 583 A.H./ 1187 A.D. During this period, the many drastic changes transformed Jerusalem into a Latin city to suit the requirements of its new Latin inhabitants and consequently the Islamic identity of the city was jeopardised.

ملخّص

تسلط هذه الدراسة الضوء على التغيرات الإدارية والعمرانية والسكانية التي حدثت في مدينة القدس خلال فترة الاحتلال الفرنجي (الصليبي) الذي دام لحوالي ثمانين عاماً من سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م وحتى استرداد صلاح الدين الأيوبي المدينة سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. وفي فترة الاحتلال الفرنجي تعرضت الهوية الإسلامية لمدينة القدس للطمس حتى أضحت «مدينة فرنجية» تلبي حاجات سكانها الجدد من الفرنجة إضافة لكونها أصبحت عاصمة لملكة بيت المقدس الفرنجية.

استولى الفرنجة (الصليبيون) على مدينة القدس في سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، ودامت سيطرتهم على المدينة حتى استردها صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. وسعى الفرنجة خلال فترة سيطرتهم على القدس لتغيير هويتها الإسلامية وجعلها مدينة «فرنجية» تلبي حاجات السكان الجدد من الفرنجة، ونتيجة لذلك حدثت تغيرات جذرية في وظيفة المدينة السياسية والإدارية، كما حدثت تغيرات أساسية في البُنى الاقتصادية والاجتماعية في المدينة، هذا إلى جانب حدوث تغيرات هامة في العمران. وباختصار، يمكن القول بأنه حدثت تغيرات في كل ميادين الحياة تقريباً.

* أستاذ مشارك، كلية الآداب والعلوم، قسم التاريخ، جامعة آل البيت.

مقدمة: احتلال الفرنجة (الصليبيين) للقدس:

تميز تاريخ القدس في نهايات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بالاضطراب نتيجة عجز الفاطميين في إدارة أملاكهم في فلسطين، ونتيجة لذلك تمكن اتسزين اوق، أحد أمراء التركمان، من الاستيلاء على مدينة القدس في شوال سنة ٤٦٥هـ/ حزيران ١٠٧٣م، واتخذها مركزاً لإقطاعيته السلجوقية التي ضمت معظم بلاد فلسطين[١]. ثم دخلت القدس وما حولها تحت نفوذ دولة الأراتقة، وهم من الأمراء التركمان الذين كانوا في خدمة الدولة السلجوقية، وحكم بنو أرتق القدس نيابة عن سلاجقة الشام مدة تقارب العشرين عاماً (١٠٧٩-١٠٩٨م). وفي شعبان من سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، قاد الأفضل بن بدر الجمالي، وزير الفاطميين آنذاك، حملة كبيرة من مصر حاصرت مدينة القدس، واستولت عليها في رجب من نفس السنة، كما تمكن الأفضل من استعادة النفوذ الفاطمي على كل فلسطين تقريباً. وقبل رجوعه إلى مصر، عين الأفضل أحد أمرائه، ويدعى افتخار الدولة، والياً على القدس ووضع معه حامية للدفاع عن المدينة.

كانت هذه الأحداث تجري في الوقت الذي كانت فيه الحملة الفرنجية (الصليبية) الأولى قد دخلت بلاد الشام واستولت على مدينة إنطاكية في سنة ٤٩١هـ / حزيران ١٠٩٨م. وقد وصلت الحملة الفرنجية للقدس وضربت الحصار عليها في سنة ٤٩٢هـ/ حزيران ١٠٩٩م. وقد كانت القدس آنذاك أكبر مدن فلسطين الداخلية وأكثرها حصانة ولذلك لجأ إليها الآلاف من سكان فلسطين، الذين هربوا أمام تقدم الحملة الفرنجية، طلباً للحماية. وقد دام حصار الفرنجة للقدس ما يقرب من أربعين يوماً، وسقطت المدينة في أيديهم في الخامس عشر من تموز سنة ١٠٩٩م.

أعقب سقوط مدينة القدس في يد الفرنجة قيام مملكة بيت المقدس الفرنجية، والتي أصبحت القدس عاصمة لها ومقراً للوكها. ومنذ ذلك التاريخ وحتى استرد صلاح الدين الأيوبي المدينة للمسلمين في سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، ازدهرت القدس ازدهاراً كبيراً نتيجة عناية ملوك الفرنجة بها، وإنشائهم لكثير من المنشآت الرئيسة كالأبراج والأسوار، والكنائس، والأديرة، والمستشفيات، والأسواق، والفنادق، هذا إلى جانب تشجيعهم للهجرة والاستيطان بالمدينة، والعناية بتوفير متطلبات الحج إلى

الأماكن المقدسة فيها.

ويمكن النظر إلى أهم التغيرات التي حدثت في القدس في فترة السيطرة الفرنجية تحت المحاور التالية:

١. التغيرات في البُنى السياسية والإدارية.

٢. التغيرات العمرانية.

٣. التغيرات في التركيبة السكانية والحياة الاجتماعية.

أولاً: التغيرات السياسية والإدارية في وظيفة القدس في فترة الاحتلال الفرنجي:

يعد استيلاء الفرنجة على القدس انتصاراً كبيراً لفكرة «الحرب المقدسة» (Holy war) ضد المسلمين، كما يعتبر إلى حد ما، تجسيداً لطموحات الأمراء الإقطاعيين اللاتين في إقامة ملكية انتخابية مركزها القدس. وفي ضوء هاتين الفكرتين يمكن النظر لأهم التغيرات السياسية والإدارية التي حدثت في وظيفة مدينة القدس في فترة الاحتلال الفرنجي.

كانت أول المهمات التي واجهت الفرنجة (الصليبيين) عقب احتلال القدس اختيار حاكم يدير أمور المدينة المدنية والعسكرية إلى جانب اختيار بطريرك يشرف على أمورها الدينية. ويذكر وليم الصوري (William of Tyre)، وهو أحد أهم المصادر الرسمية لمملكة بيت المقدس الفرنجية، أن «قادة الفرنجة» اجتمعوا في اليوم الثامن بعد الاحتلال من أجل اختيار حاكم للمدينة[٢]. ويتضح من رواية وليم الصوري أن عملية الاختيار اتسمت بظهور حزبين كبيرين من الفرنجة، أحدهما يساند قيام ملكية انتخابية والحزب الآخر يدعو لقيام دولة دينية.

كذلك وضح الخلاف حول من سيُختار أولاً: الحاكم أم البطريرك ؟ فقد أصر رجال الدين على اختيار البطريرك أولاً على أن يقوم بدوره باختيار الحاكم وتعيينه، لكن الأمراء والقواد رأوا أن يتم اختيار الحاكم أولاً وبأن تكون حكومة بيت المقدس حكومة مدنية لا حكومة دينية. وانتهى الأمر بانتصار الأمراء والقواد وتم انتخاب غودفري البويوني (Godfry de Bouillon)، دوق اللورين، حاكماً لبيت المقدس

والمناطق المجاورة لها، ولكنه لم يتخذ لقب ملك، بل اتخذ لقب «خادم القبر المقدس»، وهو لقب يشير إلى غموض في موقفه، وإلى قلق في وضع المنطقة التي تضم الأماكن المقدسة.

وبعد عدة أيام على انتخاب غودفري البويوني، اختير أرنولف مارلكون، النورماندي، ليكون نائباً لكرسي البطريركية الشاغر.[٣] على أن أرنولف استمر في منصبه لمدة خمسة أشهر فقط ثم اعتبر اختياره لاغياً، واختبر دايمبرت (Dimbert)، رئيس أساقفة بيزا، مكانه في بداية سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م[٤]. ومنذ بداية تسلمه للبطريركية، نشب نزاع خطير بين غودفري ودايمبرت حول ملكية بعض المناطق داخل القدس، ويمكن القول بأن النزاع بين الرجلين كان صورة من صور الصراع بين السلطتين المدنية والدينية الذي نقله الفرنجة معهم من الغرب الأوربي.

أرسى غودفري البويوني قواعد التنظيم الإداري في بيت المقدس على أسس مشابهة للنظام الإقطاعي الأوربي. وكان من أهم الإجراءات التي قام بها توزيع الأرض والمنازل التي أفرغت من أهل القدس من المسلمين واليهود. وقد أقر غودفري مبدأ «حق الاستملاك» الذي كان الفرنجة قد اتفقوا عليه قبل احتلال المدينة، وأصدر ما عرف بـ «قانون السنة واليوم الواحد»، والذي كان يعطي كل فرنجي يضع يده على منزل أو أرض لمدة سنة ويوم واحد الحق في ملكيتها ملكاً مطلقاً كما ينص على أن كل من غاب عن عقاراته سنة ويوماً يفقد حقه في ملكيتها.[٥]

ومن تنظيمات غودفري الإدارية في بيت المقدس إنشاؤه ثلاثة دواوين هي:

١- ديوان ينعقد برئاسة الملك، ويكون أعضاؤه من القادة، لإصدار الأحكام والترتيبات لجميع الفرنجة.

٢- ديوان يكون رئيسه قائمقام القدس، وهو رئيس لإدارة المدينة، ويكون اختصاصه النظر في الإيرادات والمصروفات وترتيب الحقوق والتدابير الإدارية.

٣- ديوان للقضاء، ويختص بالدعاوى التي ترفع على المواطنين الشرقيين المحليين، على أن يصدر أحكامه بما يطابق عاداتهم.

ويذكر وليم الصوري أن هذه الدواوين الثلاثة سجلت في سجل خاص، واحتفظ

بأصل القرار في كنيسة القيامة.[٦]

وبعد وفاة غودفري في سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، واصل ملوك بيت المقدس الأوائل تنظيم أحوال القدس إدارياً لتواكب وظيفتها كمقر لملك مملكة بيت المقدس الفرنجية. والواقع، فإن المال والرجال كانا من أهم ما احتاجه الملوك الفرنجة، ولذلك سعوا لتشجيع الهجرة والاستقرار في مدينة القدس. ونذكر في هذا المجال ما قام به الملك بلدوين الأول (٤٩٣-٥١٢هـ/ ١١٠٠-١١١٨م) من تشجيع للنصارى المحليين في فلسطين للهجرة والاستقرار في القدس، مما أدى تدريجياً إلى زيادة ملحوظة في عدد سكانها حتى وصل إلى حوالي عشرة آلاف شخص استقروا فيها بشكل دائم. لكن هذه الزيادة المضطردة في عدد السكان خلقت مشكلة أخرى تتعلق بتزويدهم بالطعام مما اضطر الملك بلدوين الثاني (٥١٢-٥٢٥هـ/ ١١١٨-١١٣١م) لأن يصدر مرسوماً في سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، أعفى بموجبه تجار الحبوب والخضار الذي يأتون بسلعهم إلى القدس من الضريبة على الأطعمة. وقد ورد في المرسوم: (... أنا بلدوين الثاني ... استجابة مني لصلوات أبينا البطريرك، واستجابة مني لرجال الدين وأبرشية مدينة القدس المقدسة.. آمر، وبموافقة من النبلاء، الآن وفي المستقبل، بإلغاء الضرائب والرسوم التي كانت تجبى عند باب المدينة من الذين يجلبون الحبوب والخضروات والفاصوليا والعدس والبازيلا إلى داخل أبواب القدس من دفع أي شيء، وستكون لهم الحرية في المجيء إليها والخروج منها، وأن يبيعوا دون أي إعاقة في أي مكان، ولأي كان سواء كان البائعون من النصارى أو من المسلمين)[٧].

من ناحية أخرى، ظل النظام الإقطاعي، المأخوذ من الإقطاع الأوربي، أساس الحياة السياسية والإدارية في بيت المقدس، وكان الملك الفرنجي هو رأس الدولة والإدارة. وكان ينوب عن الملك في إدارة شؤون المدينة موظف يسمى الكونت النائب أو الفيكونت (Viscount)[٨]. ويعاون الكونت النائب عدد من الموظفين لتسيير الأمور الإدارية أهمهم: المحتسب (Methessep)، الذي كان يشرف على الأسواق في المدينة، ويبدو من المصادر الفرنجية أن مهمات وظيفته كانت قريبة الشبه بوظيفة المحتسب عند المسلمين[٩]. وقد تركزت الإدارة في أيدي كبار موظفي البلاط الذين يختارهم الملك من بين كبار الإقطاعيين، ومن أهم هؤلاء الموظفين.

١. السنجال (Seneschel)، والذي كان مكلفاً بما يجري في الاحتفالات في مدينة

القدس، وبهذه الصفة كان يحمل صولجان الملك عند التتويج، كما يعتبر رئيساً للإدارة المدنية(١٠).

٢. الكنداسطبل (Constable)، وكان مسؤولاً عن كل ما يتعلق بالجيش وإدارته، كما كان يترأس المحكمة العليا في حالة غياب الملك.

٣. المارشال (Marshal)، وكان يساعد الكنداسطبل في مهامه وينوب عنه في كل الأمور.

٤. القسطلان، وهو مستحفظ القلعة، ويرجح أن اللفظ معرب الكلمة اللاتينية (Castellanus).

٥. الباور (Chamberlien)، وكان من مهامه الإشراف على القصر الملكي وعلى مالية الملك الخاصة(١١).

٦. كبير كتاب الإنشاء (Chancellor)، ومهامه أشبه بمهام رئيس ديوان الإنشاء عند المسلمين، وكان من أهم مهامه تحرير كل الوثائق الملكية وتسجيلها، وختمها بخاتم الملك. وكان هذا الموظف يعين غالباً من رجال الكنيسة، إلا أن الوظيفة لم تكن دينية بأي حال من الأحوال.

ومن التغيرات الإدارية الهامة التي حدثت في فترة الاحتلال الفرنجي إنشاء عدد من المحاكم في القدس مثل: المحكمة العليا، ومحكمة البرجوازية ومحاكم السكان المحليين من غير الفرنجة. وبالنظر في اختصاصات هذه المحاكم نرى أن الفرنجة هدفوا من ورائها لإقامة نظام قضائي أقرب إلى النمط الأوربي ليتناسب وحياة الجماعات السكانية المختلفة التي استوطنت المدينة.

فالمحكمة العليا كانت محكمة مختلطة الاختصاصات، وما يهمنا من اختصاصاتها هنا ما يتعلق بالسياسة والإدارة وكانت المحكمة العليا هيئة تشريعية لا بد من موافقتها على أي قانون أو تشريع جديد، كما كانت تتم استشارتها في المسائل الكبرى المرتبطة بالسياسة إذ كانت هي التي تختار الملوك، كما تختار الوصي على الملك، هذا بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية وهي محاكمة أعضائها عندما يعتدي أحدهم على الآخر.(١٢)

أما محكمة البرجوازية فكانت خاصة بنزلاء الفرنجة من غير النبلاء، وكان يتولى رئاستها فيكونت (Viscount) القدس، وكانت المحكمة تضم اثني عشر محلفاً يختارهم الفيكونت، وكانوا يؤدون أعمال القضاة إلى جانب أن يشهدوا على ما يجري في المحكمة من عقود ووثائق.[١٣]

أما محاكم السكان الوطنيين، فقد ظهرت في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وكان يتولى رئاستها الرؤساء المحليون ممن يعينهم الفيكونت. وكانت هذه المحاكم تنظر في القضايا التجارية وكل ما يتعلق بقضايا الحياة اليومية، ويساعد رئيس المحكمة ستة من المحلفين، اثنان من الفرنج، وأربعة من السكان المحليين، ويحلف كل من المتقاضين الوطنيين (من مسلمين ومسيحيين شرقيين) على كتابه المقدس.[١٤] ويرى بعض الدارسين أن المحاكم الوطنية لم تستمر طويلاً إذ اندمجت بمحاكم المدن.

ومن المحاكم الهامة التي ظهرت في مدينة القدس محكمة السوق التي كانت تنظر في القضايا المتعلقة بمخالفات البيع والشراء وكافة قضايا السوق.

ومن التغيرات السياسية الهامة في مدينة القدس في فترة الاحتلال الفرنجية أن المدينة أصبحت مقراً لعدد من المنظمات الدينية العسكرية مثل: فرسان القديس يوحنا أو الاسبتارية (Hisopitaliers)، وفرسان الهيكل أو الداوية (Templers)، وفرسان التيوتون (Tuetonic). وكانت بعض هذه الجمعيات، وخاصة الاسبتارية والداوية، تتبع في إدارتها للبابوية في روما مباشرة، كما أعطيت الكثير من الامتيازات وأعفيت من دفع ضريبة العُشر وسائر الضرائب الكنسية.

تأسست جمعية فرسان القديس يوحنا أو الاسبتارية بالقدس لأجل العناية بالمرضى من زوار الأراضي المقدسة وذلك حوالي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، وقد ظلت خدماتهم محدودة في هذا النطاق حتى حوالي سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، حين توسعوا في مهامهم وأضافوا إليها الجانب العسكري.[١٥] أما فرسان الهيكل، أو الداوية، فهم فرسان رهبان منذ نشأتهم في سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م، وقد كانت غايتهم عسكرية محضة.[١٦] وكان مقر الداوية في المسجد الأقصى[١٧]، الذي يسمونه «هيكل سليمان» (Templum Solominis) ولذا سموا بالهيكليين.

أما فرسان التيوتون، فكانوا يتألفون من العنصر الجرماني، وقد نشأت فرقتهم في فترة متأخرة من الاحتلال الفرنجي في فترة الحملة الفرنجية (الصليبية) الثالثة.[١٨] وكانت أهداف هذه الفرقة عسكرية، وبسبب قصر عمرها لم يكن لها أهمية كالاسبتارية والداوية.

كانت هذه المنظمات جمعيات دينية في المقام الأول (فقد كان الفرسان المنضمين إليها يعطون العهود الرهبانية التقليدية الثلاثة: العفة والطاعة والفقر). لكنها قدمت للفرنجة خدمات عديدة، أهمها:

أولاً: كفلت هذه الجمعيات عنصراً مهماً من المقاتلين المحترفين، وقد كان لثراء هذه الجمعيات، خاصة الاستبارية والداوية، نتيجة الهبات والهدايا التي كانت تنهال عليها من الغرب الأوربي، أثر في إنفاقها على مقاتليها وتجهيزهم.

ثانياً: تولى الاسبتارية والداوية حراسة الطرق التي يسلكها الحجاج الأوربيون إلى بيت المقدس، خاصة الطريق الرئيسي من يافا إلى القدس.

ثالثاً: حققت هذه المنظمات ما افتقر إليه الفرنجة من الوجدان والعاطفة. فقد ظلت الاسبتارية تولي اهتماماً بالغاً للأعمال الخيرية، فانشأوا والمستشفيات لعلاج المرضى الفقراء. وقد وصف بعض الرحالة الأوربيين، من أمثال يوحنا الوزربرجي وثيودريش، اللذين زارا القدس في فترة الاحتلال الفرنجي، جهود الاسبتارية العلاجية.

رابعاً: أدى الوضع المستقل والثروة المتزايدة للاسبتارية والداوية إلى جعلها ذات مكانة هامة ولذلك كانوا يقدمون المشورة العسكرية لملوك بيت المقدس في أحيان كثيرة. كذلك كان لهم نشاط مصرفي وكانوا يقدمون تسهيلات ائتمانية للحجاج الوافدين إلى بيت المقدس.

مما تقدم نلاحظ أن الفرنجة سعوا خلال فترة احتلالهم لمدينة القدس، لتغيير نمط الحياة الإدارية فيها تغييراً جذرياً على نمط النظم الإدارية في المجتمعات الإقطاعية في أوربا. فالقدس قبل الاحتلال الفرنجي، كان لها تكوين إداري مثل أي مدينة إسلامية أخرى في بلاد الشام تماثلها في عدد السكان، ومع ذلك فقد كانت

تختلف عن المدن الإسلامية الأخرى في بعض جوانب إدارتها لكونها مدينة مقدسة تضم فئات بشرية تمثل أتباع الديانات السماوية الثلاث. وكانت إدارة القدس قبيل الاحتلال الفرنجي تتركز في يد الوالي، الذي كان في الوقت ذاته قائد الحامية العسكرية في المدينة، وكان يساعده موظفون أبرزهم القاضي، والشهود، والكتاب. وكان القاضي يدير شؤون القضاء في المدينة طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية. أما أهل الكتاب من النصارى واليهود فقد كانت تحكمهم تشريعاتهم الخاصة.

ثانياً: التغيرات العمرانية في القدس في فترة الاحتلال الفرنجي :

حدثت تغيرات كبيرة في عمران مدينة القدس في فترة الاحتلال الفرنجي، وتمثلت أهم هذه التغيرات في إنشاء بعض المنشآت كالأبراج والأسوار، والمستشفيات، والأسواق، والفنادق، والأحياء السكنية، لكن التغيرات الأكثر وضوحاً في الفترة الفرنجية كانت في مجال بناء الكنائس والأديرة، وتغيير استخدامات بعض المساجد كالمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة.

ويمكن النظر لأهم التغيرات العمرانية تحت العناوين التالية :

١-الأسوار والتحصينات:

كانت الأسوار، والتحصينات التابعة لها كالأبراج، من أوائل ما اهتم به الفرنجة. والواقع، فإن أسوار القدس وتحصيناتها أصابها ضرر كبير أثناء حصار الفرنجة للمدينة، ولذلك كان لابد من تجديدها وإصلاح ما خرب منها حتى يستطيع الفرنجة، مع قلة الرجال المقاتلة، الحفاظ على المدينة.

بدأ الفرنجة بتقوية السور الشمالي المحيط بالمدينة عن طريق حفر خندق يمتد على طوله. كذلك جرى تشييد بعض الأبراج مثل برج تنكرد -نسبة إلى أحد الأمراء الفرنجة الذين شاركوا في الحملة الفرنجية الأولى- في الزاوية الجنوبية الغربية من أسوار المدينة، كما تم بناء تحصينات في المنطقة التي كانت تعرف آنذاك باسم القديسة مريم المجدلية، في الزاوية الشمالية الشرقية من الأسوار[١٩]. ومن الأبراج الهامة التي أنشئت في الفترة الفرنجية برجان بجانب باب صهيون.

٢- الأبواب والممرات :

كانت مدينة القدس قبل الاحتلال الفرنجي محاطة بأسوار لها خمسة أبواب سميت : باب شعفاط (السيدة مريم)، والباب الذهبي (الرحمة) في الجهة الشرقية، وباب القديس اسطفان (العامود أو دمشق) في الجهة الشمالية، وباب داؤد (الخليل) في الجهة الغربية، وباب صهيون (النبي داؤد) في الجهة الجنوبية. وكان الدخول إلى المدينة يتم عبر تلك الأبواب.

وفي عهد الاحتلال الفرنجي، تم إنشاء بعض المعابر التي استخدمت كممرات سرية لأغراض الدخول والخروج ولمهمات الدفاع العسكرية. ومن أهم المعابر والممرات التي أنشئت ممر البرص الذي كان يقع في الجهة الشمالية قرب مستشفى البرص الواقع غرب باب القديس اسطفان. وكان هذا الممر يستخدم لدخول المصابين بمرض البرص إلى المدينة خوفاً من اختلاطهم بغيرهم من السكان. ومن الممرات الهامة أيضاً : ممر الدباغة، الذي كان يقع جنوب سوق الحلال في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة، وممر المعبد في أقصى الشرق، وممر القديسة ماري المجدلية شمال شرق المدينة.(٢٠)

٣-الشوارع والأحياء:

تعد بوابات مدينة القدس نهايات لشوارع تخترقها من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب. ومن الشوارع الرئيسة شارع داؤد في الغرب، وشارع جبل صهيون في الجنوب، وكانت تتفرع عنهما عدد من الشوارع الفرنجية. وكانت معظم هذه الشوارع مستقيمة تقريباً وتتقاطع داخل المدينة، وكان بعضها مبلطة وبعضها مسقوف.

وقد ساعدت نوعية الشوارع الرئيسة على تقسيم القدس إلى أحياء من أبرزها:

أولاً: حي البطريرك، وهو الحي الذي استوطن فيه الأوروبيون اللاتين، وهو من الأحياء التي وجدت بالمدينة قبل الاحتلال الفرنجي. وقد أمدنا وليم الصوري بتفاصيل هامة عن بناء هذا الحي فذكر أنه بني منذ حوالي سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م، نتيجة طلب من بطريرك بيت المقدس للخليفة الفاطمي، المستنصر (٤١٧-٤٧٨هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، بتخصيص حي خاص لسكن المسيحيين تكون له صفة قانونية ولا يساكنهم فيه أحد(٢١). وكانت كنيسة القيامة تقع في قلب الحي، الذي وضع بأكمله تحت سلطة بطريرك المدينة الأرثوذكسي(٢٢).

وقد ازدهر حي البطريرك في فترة الاحتلال الفرنجي وظلت السكنى فيه قاصرة على الكاثوليك من اللاتين الذي استقروا بالقدس.

ثانياً: حي النصارى الشاميين، وهو الحي الذي استوطن فيه النصارى المحليون الذين سكنوا المدينة منذ العقد الثاني للقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي والذين جاءوا من فلسطين ومناطق شرق الأردن. وقد ذكر وليم الصوري أن ملك بيت المقدس، بلدوين الأول، لما رأى قلة السكان بالقدس، بحيث تتضرر مهمة الدفاع عنها أو القيام بالخدمات والأعمال التي تحتاجها الدولة الفرنجية، بدأ إحضار نصارى من المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن واعداً إياهم بمنازل خاصة بهم. وقد قبل النصارى ذلك العرض وجاءوا إلى القدس بأعداد كبيرة حيث منحهم الملك جزءاً كبيراً من المدينة ووهبهم المساكن القائمة فيه.(٢٣) وكان هذا الجزء يقع بمحاذاة السور الشمالي، وعُرف هذا الجزء في فترة الاحتلال الفرنجي باسم حي (حارة) النصارى السوريين تمييزاً لهم عن حارة البطريرك التي استوطنها الفرنجة وحدهم. وقد ازداد عدد سكان حي النصارى بمرور الوقت وبنيت به كنيسة القديسة مريم المجدلية لخدمة سكانه الأرثوذكس.(٢٤)

ثالثاً: بالإضافة إلى هذين الحيين الكبيرين اللذين ضما اللاتين الفرنجة والأرثوذكس الشرقيين، فقد استوطنت القدس جماعات أخرى خلال الفترة الفرنجية وبالتالي تكونت أحياء أخرى مثل: حي الأرمن وحي الألمان. أما حي الأرمن، فقد تكون نتيجة ازدياد عدد الأرمن بالقدس واستقرارهم في المنطقة الجنوبية الغربية من المدينة حول كنيسة القديس جميس الواقعة إلى الشرق من القصر الملكي.أما حي الألمان، فيعتبر آخر الأحياء التي نشأت بالقدس. ويرجح أن الحي الألماني نشأ في العقد السابع من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ذلك أن الرحالة الألماني يوحنا الورزبرجي (John of Wurzburg)، والذي زار القدس في العقد السابع من القرن الثاني عشر، وصف بدايات تكون ذلك الحي وكيف أنه بدأ بإقامة كنيسة وفندق للألمان إلى الشرق من جبل صهيون.(٢٥)

٤- القلعة والقصر الملكي:

ومن المنشآت الرئيسة التي أولاها الفرنجة عناية خاصة القلعة والقصر الملكي.

والواقع فإن القلعة بنيت منذ الفترة الإسلامية السابقة للاحتلال الفرنجي، وتعتبر أكبر منشأة بالمدينة بعد قبة الصخرة، وهي تقع في الجهة الغربية وتشرف على بوابة داؤد المقامة بجانبها إلى الشمال. وقد عُرفت القلعة لدى الفرنجة باسم «برج داؤد»[٢٦]، ولدى المسلمين بـ «محراب داؤد»[٢٧]. وبشكل دقيق، فإن «برج داؤد» كان هو البرج الذي في الزاوية الشمالية الغربية من مجمع القلعة التي تعد أكبر حجماً ومساحة وتحصيناً بما تتميز به من كتل صخرية، وشرفات حصينة، وبوابات حديدية. وزيادة في فاعلية القلعة، ربطها الفرنجة بالمدينة بواسطة جسور، كما كانت ترتبط بالقصر الملكي عبر ممرات أرضية تم تشييدها من حجارة شدت ببعضها، ليس فقط بواسطة الإسمنت، بل وإنما بالحديد والرصاص المصهور أيضاً.

أما القصر الملكي، فقد أقيم في حدود سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، وظل كل من ملكي الفرنجة، غودفري البويوني وبلدوين الأول، يتخذان من المسجد الأقصى مقراً رسمياً لهم قبل بناء القصر. وقد بُني القصر الملكي بجانب برج داؤد، ورُبطت حدوده الشمالية والشرقية والغربية مع أسوار القلعة، بينما امتداده الجنوبي لم يكن معروفاً بدقة. وقد جُهز القصر بمصادره الخاصة من المياه والخزانات، ومستودعات الأغذية التي بلغ طول الواحد منها حوالي ١٧متراً.[٢٨]

٥- الأسواق:

ازدهرت أسواق القدس في فترة الاحتلال الفرنجي نتيجة قدوم أعداد هائلة من الحجاج للمدينة سنوياً. وفي الواقع، وجد نوعان من الأسواق هما: أسواق الجملة، وتقع قرب بوابات المدينة، وأسواق المُفرق في وسط المدينة. وقد وجدت ثلاثة أسواق رئيسة للجملة هي: سوق الحبوب، قرب القلعة، وسوق الحلال، وسوق تجارة الطيور الحية.

أما تجارة المُفرق فكانت مُركزة في شارع القديس اسطفان، وكانت تتكون من ثلاثة أسواق سميت باسم: «السوق الثلاثي». وكانت حوانيت تجارة المفرق صغيرة الحجم لا تتعدى مساحة أرضها ٤ أمتار مربعة، وأقيمت أمامها شرفات تمتد إلى الأمام بحوالي متر واحد يتم فيها نشر البضائع. وكانت أغلب حوانيت المفرق تُطل دائماً على الشوارع الرئيسة حيث كثافة السكان، خاصة في المنطقة القريبة من حي

البطريرك الذي تتوسطه كنيسة القيامة.[٢٩]

٦- الكنائس والأديرة:

تعتبر فترة الاحتلال الفرنجي فترة ازدهار واضح في بناء الكنائس والأديرة، وفي العناية بها عن طريق منح الهبات لها، وتجميل مبانيها وزيادة مصادر دخولاتها. كذلك ينبغي ملاحظة أن الفرنجة عمدوا إلى تغيير استخدامات بعض المساجد؛ كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة، لتخدم أغراضهم الدينية. فبعد فترة وجيزة من الاحتلال الفرنجي للقدس، قام الفرنجة بتحويل قبة الصخرة إلى كنيسة أسموها «كنيسة السيد» Templum Domini، ووُضع فوقها صليب كبير، وزُينت بالصور والتماثيل[٣٠]، وأحيطت بدرابزين من حديد مكان درابزين الرخام المزخرف. كذلك عمد الفرنجة إلى تغيير هوية المسجد الأقصى، والذي أُنقص حجمه إلى الحجم الموجود الآن، وجُعل قسم منه كنيسة، في حين أن القسم الأكبر منه جُعل مقراً ومسكناً لفرسان الداوية. وكان الفرنجة يطلقون على المسجد الأقصى اسم: «معبد سليمان» (Templum Solominis).

ومن التغيرات التي لحقت ببعض المدارس الإسلامية، أن الفرنجة قاموا بتحويل المدرسة الشافعية إلى كنيسة أُطلق عليها اسم كنيسة القديسة حنة (آن)، وهو الاسم الذي كانت تحمله قبل أن تتحول إلى مدرسة في الفترة قبل سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م.[٣١] واهتم الفرنجة ببعض الكنائس الرئيسة التي كانت موجودة بالقدس قبل مجيئهم مثل: كنيسة القيامة، وكنيسة الضريح المقدس (Church of the Sepulchre)، وكنيسة القديس لازاروس (St. Lazarus)، وكنيسة القديسة مريم (Sancta Mari)، وكنسية ماري الكبرى. ومن أبرز الأمثلة على عناية الفرنجة ببعض تلك الكنائس الرئيسة أنهم قاموا بتوسيع كنيسة القيامة إضافة إلى بناء صحن وممرات للقبة التي كانت قائمة في ذلك الوقت.[٣٢]

ومن ناحية أخرى اهتم الفرنجة ببناء عدد من الكنائس والأديرة في القدس لتلبي حاجات سكان المدينة الجدد من الفرنج والمسيحيين الشرقيين. ومن الكنائس التي بناها الفرنجة: كنيسة يعقوب الأصغر، إلى الشرق من قبة الصخرة، كما بُنيت إلى اليسار من الحرم كنيسة الألمان. أما في حي الأرمن، فقد وُجدت كاتدرائية

القديس جيمس.[٣٣]

أما الأديرة فكانت كثيرة في القدس قبل الاحتلال الفرنجي، وقد قام الفرنجة ببناء أديرة جديدة في مناطق متفرقة من المدينة كما اعتنوا ببعض الأديرة القديمة. ومن أهم الأديرة القديمة التي وجدت بالقدس دير مارسابا (Mar Sabas)، الذي يعتبر من أعظم أديرة المدينة، وكان يقع في حي الأرمن. وقد أشار عدد من الرحالة الأوربيين، الذين زاروا القدس في فترة الاحتلال الفرنجي، إلى عظمة دير مارسابا. فقد ذكر الرحالة سابولف (Saewulf)، الذي زار القدس في بدايات فترة الاحتلال الفرنجي، بأن الدير (.... كان بالغ الجمال والاتساع وبه أكثر من ثلاثمائة من الرهبان اليونانيين الذي يعيشون ضمن جماعة ديرانية تخدم الرب)[٣٤]. والواقع، فإن عظمة دير سابا جاءت من مكانة مؤسسة القديس سابا، الذي يعتبر من أبرز رهبان الحركة الديرانية الشرقية في العصر البيزنطي[٣٥]. وظل المسيحيون الشرقيون يقصدون الدير من أماكن متعددة كما تكدست فيه ثروات هائلة نتيجة الهبات التي كانت تصله.

ومن الأديرة الهامة في القدس دير جبل صهيون، والذي كان يمتلك ثروات هائلة حتى إنه امتلك سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م حياً بأكمله في المدينة، فضلاً عن ممتلكات واسعة في بلاد الشام وصقلية وإيطاليا وفرنسا.[٣٦]

والواقع، فإن من الصعوبة بمكان أن نتحدث عن جميع الكنائس والأديرة التي أقيمت، أو ازدهرت، خلال الفترة الفرنجية، لكن يمكن القول بأنه وُجدت في القدس أعداد كبيرة من الكنائس والأديرة تفاوتت في أهميتها وأحجامها، وإن كانت الكنائس والأديرة اللاتينية الكاثوليكية قد لقيت عناية خاصة، مع تأكيد أن بعض الأجناس التي استوطنت القدس كان لها كنائسها وأديرتها الخاصة بها. فالحجاج وسكان القدس من الروس مثلاً، ظلوا يتجهون إلى دير القديس سابا، إلا أن الرحالة الروسية أيوفروزين (Euphrosine)، والتي زارت القدس في فترة حكم الملك الفرنجي عموري الأول (٥٥٨-٥٦٩هـ/ ١١٦٢-١١٧٤م)، ذكرت بان الروس أقاموا لهم ديراً خاصاً سمته: «دير الروس»، بجوار كنيسة القديسة مريم.[٣٧] كذلك ينبغي ملاحظة أن فرسان القديس يوحنا (الاسبتارية) ظلوا يعيشون طوال فترة الاحتلال الفرنجي

في بيوت عُرفت بالأديرة التي تنوعت في الحجم بشكل كبير.

٧- المستشفيات :

وُجد بالقدس في فترة الاحتلال الفرنجي مستشفيان هما: مستشفى القديس يوحنا، ومستشفى البرص لعلاج المصابين بمرض البرص. وكان مستشفى القديس يوحنا يقع إلى الجنوب من كنيسة القيامة، في حين كان مستشفى البرص يقع في الناحية الشمالية من المدينة، جنوب غرب بوابة القديس اسطفان.(٣٨)

والواقع، فإن بدايات مستشفى القديس يوحنا كانت في نهايات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حين منح الخليفة الفاطمي المستنصرلتجار مدينة أمالفي (Amalfi) الإيطالية قطعة كبيرة من الأرض إلى الجنوب من كنيسة القيامة لبناء مركز لإقامتهم ولإقامة غيرهم من النصارى الأوروبيين أثناء وجودهم في القدس ولخدمة الحجاج الأوربيين. وقام هؤلاء التجار ببناء دير للرهبان على هذه الأرض في سنة ٤٧٢هـ/١٠٨٠م، عُرف بدير القديسة ماري اللاتينية (Mary of the Latins)، ودير للراهبات، عُرف بدير القديسة مريم المجدلية (Mary Magdelene)، ليكون مأوى للحاجات من النساء. ثم بُني على هذه الأرض في فترة لاحقة مأوى (Hospice) وكنيسة عُرفت بكنيسة القديس يوحنا. وقد تطور المأوى ليصبح، قبل الاحتلال الفرنجي للقدس، مستشفى كبيراً يخدم فيه عدد من المرضين (Hospitallers)، وعُرف بمستشفى القديس يوحنا، (Hospital of St. John).(٣٩)

وبعد استيلاء الفرنجة على القدس، أصبح المستشفى محل ثقة المسيحيين عامة، وملوك بيت المقدس خاصة، وتدفقت عليه التبرعات والهبات التي ساعدت على ازدهاره. والثابت أن الملك غودفري البوبوني منح المستشفى قرية باسم (Casale Hessilla)، قريبة من القدس، إذ يرد اسم هذه القرية في وثائق الاسبتارية كأول هبة تلقتها من ملوك بيت المقدس(٤٠). ومما يدلل على عظم الخدمات التي كان يقدمها المستشفى في بدايات فترة الاحتلال الفرنجي للقدس، أن رئيسه جيرار (Gerhard) اكتسب لقب «حامي فقراء المسيح» (Guardien des pauvres). وقد وصف بعض الرحالة الأوربيين، الذين زاروا القدس في فترة الاحتلال الفرنجي، جهود مستشفى القديس يوحنا العلاجية، ومن هؤلاء الرحالة بعض الألمان من أمثال يوحنا الورزبرجي

وثيودريش، والرحالة اليهودي الإسباني بنيامين التطيلي.

قام الرحالة الألماني يوحنا الورزبرجي (John of Wurzburg) بزيارة للقدس في بدايات العقد السابع من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وقد وردت في رحلته إشارات إلى الجانب الطبي والعلاجي للاسبتارية فوصف المستشفى الخاص بهم بقوله :(...يقع المستشفى بالقرب من كنيسة القديس يوحنا وهي تحتوي على حجرات عديدة ضمت عدداً كبيراً من المرضى سواء من الرجال أو النساء.... والعدد الإجمالي لأولئك المرضى حوالي ألفين، ومنهم من تدركه منيته، وهؤلاء يبلغ عددهم أكثر من خمسين شخصاً يومياً..).(٤١)

ويتضح من رواية يوحنا الورزبرجي أنه قدم لنا صورة واضحة عن عمل مستشفى القديس يوحنا، ودعم روايته بأرقام محددة عن طاقة المستشفى. ولم يقتصر الجانب الإحصائي عنده على من تستوعبهم المستشفى، بل ذكر من يموتون أيضاً. والواقع فإن ما ذكره الرحالة عن عدد الوفيات يومياً، يمكن أن يؤخذ كدليل على ضعف المستوى العلاجي والخبرة الطبية عند الفرنجة بصفة عامة، وهو ما أشارت إليه بعض المصادر العربية كأسامة بن منقذ.(٤٢)

أما الرحالة الألماني ثيودريش (Theoderich)، والذي يرجح أنه زار القدس ما بين سنتي ٥٦٨-٥٧٠هـ/١١٧٢-١١٧٤م، فقد وصف مستشفى القديس يوحنا في رحلته حيث قال: (...كم هي جميلة مباني المستشفى، وهي مجهزة بالحجرات والأسرة والمستلزمات الأخرى لعلاج المرضى... ويقف المرء عاجزاً عن اكتشاف عدد الناس الذين يعالجون هناك وإن كان عدد الأسرة يقدر بأكثر من ألف سرير...).(٤٣)

ونلاحظ أن إشارة ثيودريش عن مستشفى القديس يوحنا تتفق، إلى حد ما، مع ما ذكره يوحنا الوزبرجي، على الرغم من أن يوحنا تفوق على ثيودريش من حيث إيراده لأرقام محددة عن عدد من تستوعبهم المستشفى وعدد الوفيات من المرضى.

ومن الرحالة الذين اهتموا بوصف المستشفيات في القدس في فترة الاحتلال الفرنجي اليهودي الإسباني بنيامين التطيلي (Benjamin of Tudelo)، الذي يرجح أنه زار القدس في حوالي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م، والذي يذكر: (... إن بالقدس مستشفيين بإمكانهما معالجة أربعمائة من فرسان الإسبتارية بالإضافة إلى المرضى

الذين يتجهزون بكل ما يلزمهم في الحياة وبعد الممات ...).[٤٤]

ثالثاً : التغيرات السكانية والاجتماعية :

حدثت تغيرات جذرية في تركيبة السكان في القدس في فترة الاحتلال الفرنجي كانت لها انعكاسات هامة على الحياة الاجتماعية في المدينة، إذ أصبحت «مدينة فرنجية» في أغلب البُنى الاجتماعية التي تسودها.

ظل يسكن القدس منذ الفتح الإسلامي لها في سنة ١٥هـ/٦٣٧م وحتى احتلال الفرنجة للمدينة في سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، المسلمون بأجناسهم المختلفة، والنصارى المحليون واليهود. وبعد الاحتلال الفرنجي، أُفرغت المدينة من كل سكانها السابقين، فالمسلمون قتل معظمهم في المذبحة البشعة التي حدثت عقب احتلال المدينة، كما طُرد من تبقى منهم ولم يسمح لأحد من المسلمين بعد بسكناها. أما اليهود فكان مصيرهم كالمسلمين. وأما النصارى المحليون فلم يكن يوجد منهم أحد بالمدينة حينذاك لأن قائد الحامية الفاطمية، افتخار الدولة، كان قد أجبرهم على مغادرتها إلى الأرياف خوفاً من تعاونهم مع الفرنجة.[٤٥]

كان سكان القدس في بداية الفترة الفرنجية من اللاتين الذين شاركوا في احتلال المدينة. وقد استولى هؤلاء الفرنجة على المنازل التي كانت بالمدينة وامتلكوها، وتم هذا الاستيلاء طبقاً لما كان يعرف عند الفرنجة بـ: «قانون الاحتلال» والذي وصفه لنا فوشيه الشارتري: (... بعد هذه المذبحة العظيمة، دخلوا (أي الفرنجة) بيوت المواطنين يتملكون ما وجدوا فيها، وقد رتبوا ذلك بحيث أن أول من يدخل بيتاً، سواء كان بيت غني أو فقير، فلن يعارضه بذلك أي إفرنجي، وله أن يسكن ويمتلك ذلك البيت أو القصر وكل ما فيه كما لو كان بيته حقاً. وهكذا تبادلوا القرار بحق الاستملاك وبهذه الطريقة أصبح كثير من فقراء (الفرنجة) أغنياء ...).[٤٦]

لكن رغم ذلك لم يستوطن في القدس من الفرنجة سوى عدد قليل، وبدأت مشكلة قلة السكان واضحة لأن جزءاً كبيراً من الفرنجة، الذين شاركوا في احتلال المدينة، غادروها إلى بلادهم بعد أن حققوا هدفهم بالمشاركة في فتحها والقيام بالحج وزيارة الأماكن المقدسة، كما أن قسماً آخر من الفرنجة غادروا القدس إلى المدن الساحلية أو الأرياف.

وقد أشار وليم الصوري إلى قلة سكان القدس في بداية الاحتلال الفرنجي، إذ يقول: (.... وحتى داخل أسوار المدينة (القدس) وداخل المنازل، لم يكن هنالك من مكان يستطيع (الافرنج) الركون فيه باطمئنان وأمان، فقد كان السكان (الفرنجة) قلة ومبعثرين في أنحاء المدينة....وكان (المسلمون) يقتحمون المدينة التي كان الفرنج يعيشون فيها في بيوت متباعدة، ونتج عن ذلك أن تخلى بعض (الفرنج) عن الممتلكات التي احرزوها سراً وعلانية، وبدأوا يعودون إلى بلادهم....).(٤٧)

ويرى رسل (Russel) أن فقدان الأمن لم يكن الدافع الوحيد الذي أدى إلى هجرة الفرنجة من القدس في البداية، وإنما كانت ظروف المدينة الاقتصادية، المعتمدة على التجارة والحرف اليدوية، هي التي اضطرت معظم الفرنجة، الذين كانوا ينحدرون من أصول فلاحية أوربية، إلى مغادرة المدينة إلى المدن الساحلية أو الأرياف، حيث كانت فرص الحصول على عيش ملائم أكثر توفراً.(٤٨)

ويصف لنا وليم الصوري حالة القدس في بداية حكم الملك بلدوين الأول حيث يقول: (...كانت المدينة المقدسة خالية تقريباً من السكان إذ لم يكن فيها من الناس ما يكفي للأعمال والخدمات التي تحتاجها الدولة الجديدة، وفي الحقيقة فإن سكان المدينة كانوا من القلة بحيث لا يكفون لحماية أبواب المدينة والدفاع عن أبراجها وأسوارها في حالة هجوم عليها....).(٤٩)

ولتصحيح هذا الخلل في توطين الناس في القدس، قام الملك بلدوين الأول بإحضار أعداد كبيرة من النصارى المحليين من مناطق شرق الأردن ومنحهم جزءاً كبيراً من المدينة، وكان ذلك بداية حي (حارة) النصارى السوريين. وكان لهجرة النصارى المحليين للقدس أثره في زيادة سكانها بدرجة ملحوظة، كما استقر بالمدينة أجناس أخرى كالأرمن والألمان وغيرهم.

ويذكر بعض الرحالة الأوربيين التنوع السكاني في القدس، ومن هؤلاء الرحالة الألماني يوحنا الورزبرجي، والذي ذكر: (.... كان في القدس اليونان والبلغار واللاتين، والمجريون والاسكتلنديون والنافاريون والبريطانيون والإنجليز والفرنج والرثيتابون والكرج والأرمن والسوريون والهنود والمصريون والأقباط وآخرون ...).(٥٠)

كذلك أشار الرحالة بنيامين التطيلي إلى تنوع التركيبة السكانية في القدس إذ

يقول: (... وفيها (أي القدس) عدد كبير من اليعاقبة والسريان والأرمن واليونان والكرج والإفرنج، خليط من كل أمة ولسان...).(٥١)

ويرى بعض الدارسين من أمثال رسل (Russel)، بأن سكان القدس وصلوا قبل نهاية الفترة الفرنجية بقليل حوالي عشرة آلاف نسمة يعيشون في المدينة بصفة دائمة.(٥٢)

كذلك أشار بعض الرحالة إلى تنوع الأجناس والمذاهب الدينية المسيحية بالمدينة، ومن هؤلاء الرحالة المجهول (Anonymous pilgrim) الذي قدم لنا وصفاً دقيقاً لمعظم الجماعات الدينية التي كانت تسكن المدينة إذ يقول: (... كانت رؤوس اللاتين عارية من أي لباس وهم الوحيدون (من بين سكان المدينة) الذي يحلقون لحاهم ... أما اليونان فيربون شعور لحاهم طويلاً وبأسلوب خاص بهم ... أما النصارى من السوريين فكانوا على الأغلب لا يتركون لحاهم تنمو طويلة وإنما يقصونها بأسلوب معين ... وأما الأرمن، فأعدادهم كبيرة بالمدينة، فيختلفون في كثير من العادات والملامح عن اللاتين واليونانيين ولهم لغتهم الخاصة بهم ... وأما الكرج (سكان جورجيا) فلهم أيضاً لغتهم الخاصة بهم، وأسلوب خاص في تربية لحاهم، ويلبسون نوعاً خاصاً من القبعات ويتركون شعورهم لتطول ... وجميع الكرج، من رجال الدين ومن الرجال العاديين، كانوا يلبسون الـTonsure حيث يكون مدوراً عند الفئة الأولى ويكون مربعاً عند الآخرين ...)(٥٣).

كان الفرنجة اللاتين يكونون غالبية سكان القدس في بداية الفترة الفرنجية، وكانوا يتكونون من الفئات الاجتماعية التالية : رجال الدين، الفئات الخاصة وفئات العامة. وشكل رجال الدين فئة كبيرة كان لها دور هام في حياة المدينة. أما فئة الخاصة، فكانت تتكون من الملك وخاصته وكبار النبلاء والبارونات والفرسان، ومنهم كانت تتكون الطبقة الحاكمة والقوة المقاتلة الأساسية.(٥٤)

وتكونت فئات العامة من بقية الجماعات التي شاركت في الحملة الفرنجية الأولى، واغلبهم كانوا من الفلاحين (Pedites)، وظلوا يكونون غالبية السكان اللاتين. ويرى براور (Prawer) أن كثيراً من العامة كانوا من أصول فلاحية وأنهم استطاعوا بمرور الوقت أن يتكيفوا مع أنماط الحياة الاقتصادية في مدينة القدس وكان ذلك

بداية ظهور طبقة جديدة من السكان سميت بالطبقة الوسطى.

ويقول براور أن بدايات تكون الطبقة الوسطى من السكان اللاتين في القدس ترجع إلى فترة حكم الملك بلدوين الأول والذي سمح لرعيته «من النبلاء والفرسان والطبقة المتوسطة» أن يهبوا جزءاً من مداخيلهم إلى كنيسة القيامة.[٥٥] والواقع، فإن مكانة الطبقة الوسطى في التنظيم الاجتماعي للقدس تحددت بعدد من العوامل أهمها العدد الكبير لأفرادها مقارنة بمجموع السكان اللاتين، إضافة إلى الحرف والمهن التي كانوا يعملون بها. ويرى جان ريتشارد أنه كان للطبقة الوسطى (البرجوازية) دور كبير في مدينة القدس لدرجة أنهم كانوا يقدمون للجيش في وقت الحرب خمسمائة سرجندي (Sergeants)[٥٦]. ولأهمية هذه الطبقة كان ينظم حياتها قوانين خاصة تقوم بتنفيذها محاكم عُرفت باسم محاكم البراجسة (Burgesses).[٥٧]

ومن ناحية أخرى كانت للمنظمات العسكرية الدينية، خاصة الاسبتارية والداوية، مكانة اجتماعية متميزة في القدس، رغم أنهما لم تكونا تخضعان لسلطة الملوك المباشرة وإنما خضعتا للبابوية في روما. ويرى بعض الدارسين أن هذه المنظمات لم تكن تشكل جزءاً عضوياً مُكملاً لبقية فئات المجتمع الفرنجي في القدس وإنما ظلت تشكل مجتمعات صغيرة متكاملة داخل المجتمع الفرنجي.

أما النصارى المحليون من سكان القدس، فقد بدأ ظهورهم في مجتمع المدينة في عهد الملك بلدوين الأول وظل عددهم في ازدياد حتى أصبحوا يشكلون المجموعة الكبرى من العناصر غير الأوربية التي كانت تقطن المدينة. ولكن مكانة النصارى المحليين الاجتماعية في البنية الطبقية لسكان القدس لم تصل إلى مستوى أدنى المجموعات الأوربية في السلم الاجتماعي، وكان تعامل الدولة معهم قائماً على عدم الثقة بهم، خاصة فيما يتعلق بالأعمال العسكرية، لكن سُمح لهم بالسكنى في حي خاص بهم (حي النصارى)، كما كانت أمور حياتهم تنظمها قوانينهم وشرائعهم التقليدية مثلهم مثل الفئات الدينية العرقية الشرقية الأخرى كالأرمن والكرج.[٥٨]

وينبغي ذكر نقطة هامة وهي أن المسلمين واليهود لم يسمح لهم بالسكنى في القدس في بداية الفترة الفرنجية، لكن كان يسمح لهم بزيارة المدينة المقدسة بموجب تصريح خاص. لكن وردت إشارات في بعض المصادر تدلل على أن بعض الأفراد

من اليهود سُمح لهم بالإقامة في القدس في أواخر الفترة الفرنجية إذ أوضح بنيامين التطيلي أن القدس كان بها، عند زيارته لها، مئتا عائلة يهودية[٥٩]، غير أن براور (Prawer) يقرر أن ذلك العدد ورد في بعض النسخ المخطوطة للرحلة وصحته أربع عائلات يهودية فقط[٦٠]. كذلك أشار الرحالة اليهودي بتاحيا الراتسبوني (Petachia of Ratisbon)، والذي زار القدس قبل استرداد صلاح الدين للمدينة بقليل، إلى أنه وجد في القدس يهودي واحد هو الربي إبراهيم هلتسيفع.[٦١]

ومن مظاهر الحياة العامة البارزة في مدينة القدس في فترة الاحتلال الفرنجي كثرة الاحتفالات الدينية والأعياد. وكانت احتفالات عيد الفصح أهم هذه الاحتفالات الدينية على الإطلاق، كما أضاف الفرنجة أعياداً ومناسبات جديدة خلال الفترة الفرنجية مثل الاحتفال السنوي بيوم استيلاء الفرنجة على القدس في الخامس عشر من تموز، والاحتفال السنوي بذكرى انتخاب غودفري البويوني ملكاً للمدينة، والاحتفال بتتويج الملك عند اختيار ملك جديد ويذكر بعض الرحالة الأوربيين حرص ملوك بيت المقدس وكبار رجال الدولة ورجال الدين والحجاج، وغيرهم من سكان المدينة من النصارى، على حضور تلك الاحتفالات.

كان الاحتفال بعيد الفصح أهم الاحتفالات التي كانت تشهدها القدس في الفترة الفرنجية. والواقع، فإن ذلك الاحتفال احتفال قديم استمر خلال الفترة الإسلامية[٦٢]. وقد أكدت بعض المصادر حرص السلطات الإسلامية على أن يقوم المسيحيون بذلك الاحتفال بكل اطمئنان، فقد أورد يحيى بن سعيد الأنطاكي أن نصارى القدس كانوا حين يحتفلون بعيد الفصح، يخرج معهم الوالي المسلم ومعه بعض رجاله ليمنع الناس من التعرض لهم بأذى[٦٣] وقد اختلف الاحتفال بعيد الفصح في الفترة الفرنجية، ففي الفترة السابقة للاحتلال الفرنجي، كان نصارى القدس يحملون شجرة الزيتون في احتفال يبدأ من كنيسة العيزرية، في ضواحي القدس ويمرون عبر شوارع المدينة، رافعي الصليب وهم يترنمون بالأناشيد، حتى يصلوا كنيسة القيامة حيث ينتهي الاحتفال. وقد أشار أحد الرحالة الأوربيين وهو دانيال الروسي (Abbot Daniel) إلى كيفية احتفال الفرنجة بعيد الفصح فقال: (..... قبل شروق شمس يوم الأحد، كان يتجمع رجال الدين من جميع كنائس القدس وما حولها من جبل صهيون وجبل الزيتون، ويتوجهون إلى العيزرية وعلى

رأسهم البطريرك، وصاحب خزائن كنيسة القيامة وهو يحمل الصليب المقدس. وفي ذات الوقت كان سكان المدينة يتجمعون ومعهم الحجاج في ساحة قبة الصخرة (التي تحولت إلى كنيسة السيد Templun Donimi كما ذكرنا من قبل)، وهم يحملون عيدان النخيل وأغصان الزيتون، ثم بعد ذلك يقوم أحد كبار رجال الدين بقيادة المحتفلين من ساحة قبة الصخرة إلى باب أريحا (يهوشفات)، ومن ثم يخرجون من ذلك الباب إلى وادي جهنم حيث كان يتم لقاء رجال الدين والبطريرك (ومعهم الصليب) مع بقية المحتفلين، ومن ثم يقود البطريرك الموكب باتجاه البوابة الذهبية (باب الرحمة)، والذي يفتح خصيصاً كل سنة لهذه المناسبة، ثم يعاد سده بعدها، وينتهي الاحتفال بدخول الموكب إلى ساحة قبة الصخرة حيث تقام الصلوات....).[٦٤]

ومن بين الأعياد الجديدة التي استحدثها الفرنجة في القدس الاحتفال بيوم الخامس عشر من تموز كل سنة، وهو اليوم الذي سقطت فيه المدينة في أيدي الفرنجة.وقد وصف الرحالة الألماني يوحنا الورزبرجي ذلك الاحتفال قائلاً: (... ففي الصباح الباكر من هذا اليوم، كان البطريرك اللاتيني يقود مسيرة من كنيسة القيامة إلى كنيسة السيد (قبة الصخرة) حيث تتوقف الجموع لإقامة الصلوات في الساحة الواقعة بينها (كنيسة السيد) وبين معبد سليمان (المسجد الأقصى). وبعد الانتهاء من الصلوات كان المجتمعون يتوجهون إلى خارج أسواق المدينة حيث قبور «شهداء الفرنجة» الذين سقطوا أثناء اقتحام المدينة. وبعد الانتهاء من زيارة «قبور الشهداء» تعود المسيرة إلى القدس حيث تعبر الشارع العام وتسير باتجاه السور الشمالي للمدينة حيث المنطقة التي دخل منها الفرنجة، وفي هذا المكان كان البطريرك يلقي موعظة بالناس المجتمعين، ثم تقام صلوات الشكر قبل أن يتفرق الجمع...).[٦٥]

ومن الاحتفالات التي استحدثها الفرنجة أيضاً الاحتفال بالذكرى السنوية لانتخاب غودفري البويوني كأول ملك لمملكة بيت المقدس الفرنجية. وقد وصف الرحالة يوحنا الوزربرجي ذلك الاحتفال وصفاً مقتضباً فأشار إلى أن سكان القدس (...كانوا يجتمعون في الكنيسة (كنيسة القيامة) ثم يخرجون في مسيرة عبر شوارع المدينة حتى يصلوا القصر الملكي حيث كانت تقام وليمة كبيرة.... وكان أغنياء القدس يقومون بتوزيع الصدقات الكثيرة على الفقراء في كنيسة القيامة كما كان يفعل غودفري نفسه عندما كان حياً...).[٦٦]

وقد أكد جان ريتشارد أن تتويج ملك جديد لمملكة بيت المقدس كان من المناسبات الهامة حيث تقام وليمة كبيرة في القصر الملكي يُدعى لها كل نبلاء المملكة الفرنجية وفرسانها، وكانت العادة المتبعة في تلك المناسبة أن يقوم أفراد «الطبقة الوسطى» في القدس بإعداد هذه الوليمة(٦٧). وينبغي ملاحظة أن جميع ملوك بيت المقدس خلال الفترة الفرنجية توجوا في كنيسة القيامة ما عدا الملك بلدوين الأول، والذي تم تتويجه في كنيسة العذراء في بيت لحم كما ذكر وليم الصوري.(٦٨)

الخاتمة :

شهدت فترة الاحتلال الفرنجي لمدينة القدس، والتي امتدت لحوالي تسعين سنة، تغيرات هامة في كل ميادين الحياة تقريباً لدرجة أن فقدت المدينة هويتها الإسلامية وأصبحت مدينة «فرنجية» الملامح والعمران والسكان إلى حد ما.

ومن أهم النتائج التي نخلص إليها ما يلي:

أولاً : أصبحت القدس في الفترة الفرنجية مركزاً لمملكة بيت المقدس الفرنجية، مما أدى لأن تلعب المدينة دوراً سياسياً وإدارياً هاماً إذ أصبحت مقراً لملوك المملكة من الفرنجة كما وُجدت بها المؤسسات الإدارية والسياسية الرئيسة.

ثانياً: شكل الفرنجة من اللاتين، رغم قلة عددهم بالمقارنة مع المسيحيين الشرقيين، الطبقة الحاكمة في القدس إذ كان منهم الملوك، وكبار رجال الدولة، ورجال الدين، وظلوا طبقة متميزة تعيش في حي خاص بهم دون الاختلاط مع المجموعات الأثنية والطوائف الدينية الأخرى مما يعكس العنصرية الاجتماعية والدينية التي مارسها اللاتين الفرنجة في المدينة.

ثالثاً: حدث تطور هام في الناحية العمرانية بالمدينة نتيجة إنشاء الفرنجة لعدد من الأبنية كالأسوار والأبراج والممرات والأسواق والفنادق، كما أدى ازدياد السكان إلى نشأة أحياء سكنية جديدة. وينبغي ملاحظة أن التغيرات العمرانية اقتضت، في بعض الأحيان، أن يقوم الفرنجة بتغيير وظيفة بعض المساجد؛ كالمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، لتخدم أغراضاً دينية جديدة للفرنجة.

رابعاً: ازدهرت في القدس في الفترة الفرنجية الأعياد والمناسبات الدينية

وبعضها قديم، كالاحتفال بعيد الفصح، وبعضها استحدثه الفرنجة، كالاحتفال السنوي بيوم استيلاء الفرنجة على القدس، والاحتفال السنوي بذكرى انتخاب أول ملك فرنجي للمدينة. وتعكس هذه الاحتفالات جانباً هاماً من جوانب الحياة العامة في القدس في الفترة الفرنجية إذ حرص ملوك بيت المقدس وكبار رجال الدولة ورجال الدين والحجاج وغيرهم من سكان المدينة من النصارى على حضور تلك الاحتفالات. وقد مثلت تلك الأعياد والمناسبات فرصة كبيرة لإنعاش الرحلة إلى الأماكن المقدسة في المدينة كما أدت لازدهار التجارة بقدوم أعداد هائلة من الحجاج والزوار.

الهوامش:

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٥١م، ج٨، ص ١٦٩.

(٢) William of Tyre, A history of deeds done beyond the seas, trans. by Emily Babcock and A.C. Kerry, Octagon Books, New York, 1976, vol. 1, P. 472.

(٣) كان بطريرك بيت المقدس قبل الاحتلال الفرنجي يدعى سمعان الأرثوذكسي، وكان قد ذهب إلى قبرص في مهمة دينية وهناك توفى، وظل كرسي البطركية شاغراً، عن ذلك انظر:
William of Tyre , A history of deeds , vol.1, P. 450.

(٤) William of Tyre, Ibid, vol.1, P. 453.

(٥) William of Tyre, Ibid, vol.1, P. 475.

(٦) William of Tyre ,A history of deeds, vol.1, P. 466.

(٧) Peters, E., Jerusalem, the holy city in the eyes of chronicles, Princeton, 1985, p.306.

(٨) كان الفيكونت يتولى جباية الضرائب المحلية، كما كان مسؤولاً عن المحاكم المحلية وعن حفظ الأمن بوجه عام. وكان الفيكونت غالباً ما يتم اختياره من الأسر النبيلة، غير أن وظيفته لم تكن وراثية. عن الفيكونت انظر: ستفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط١، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٢، ص٤٨٨. ويرد الفيكونت في المصادر العربية باسم «اليسكند» ويسميه أسامه بن منقذ «شحنة البلد» - انظر: أسامة بن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م)، الاعتبار: تحقيق قاسم السامرائي، دار الأصالة، الرياض، ١٩٨٧، ص ١٧٨.

(٩) كان الفرنجة يؤثرون إسناد وظيفة المحتسب إلى رجل مسلم، وظل المحتسب عند الفرنج يقوم بمهمات مراقبة الطرقات والأسواق، ومراقبة الموازين والمكاييل، ومراقبة تجار الحبوب والخبازين وبائعي الأطعمة، إلى جانب مراقبة معلمي الصبيان، ومراقبة عمل الأطباء. وكان

على المحتسب أن يقدم تقارير منتظمة إلى الفيكونت عما يجري في المدينة. انظر: زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت ، ١٩٥٨، ص ١٥٧-١٥٨.

(١٠) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٣٤.

(١١) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٤٨٧-٤٨٨.

(١٢) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، ص١٤٣.

(١٣) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٤٩٢.

(١٤) رنسيمان، المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٨٥. ولمزيد من التفاصيل عن المحاكم الفرنجية في القدس انظر مقالة:

Brundage, J.A., "Latin Jurists in the Levant", in Crusaders and Muslims in Twelfth Century Syria, ed. By Maya Shatzmiller, Leiden, 1993, p.p. 18-42.

(١٥) جوناثان رايلي سميث، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠-١٣١٠م، ترجمة صبحي الجابي، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٨٩م، ص٣٩-٤٠.

(١٦) نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الفرسان الرهبان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٨.

(١٧) اتخذ ملوك الفرنجة في القدس من المسجد الأقصى مقراً رسمياً لهم لعدم وجود مقر ملكي، وبعد اكتمال بناء القصر، في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، أُعطي المسجد لفرقة فرسان الداوية ليكون مقراً لهم. والواقع فإن الفرنجة قسموا المسجد الأقصى خلال فترة الاحتلال الفرنجي إلى ثلاثة أقسام: الأول كنيسة، والثاني مسكناً للداوية، والثالث مستودعاً للأسلحة، كما جعلوا من السراديب التي أسفل المسجد اصطبلاً لخيولهم وجمالهم. عن ذلك انظر: الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق جابراييللي وديل فيلا، نابولي، ١٩٦٥-١٩٧٧م، ص ٣٦. وسيشار إليه لاحقاً هكذا: الإدريسي، نزهة المشتاق.

(١٨) William of Tyre, A History of deeds, vol.I, p. 578.

(١٩) AL-Hiyari, M., Crusader Jerusalem, In, Jerusalem in history, edit by Kamel AL-Asali. London, 1989. P. 141.

(٢٠) Schaefer, K., Jerusalem in the Ayyubid and Mamluk eras, Unpublished Ph. D. thesis, University of New York, 1985, P.P. 122-123

(٢١) William of Tyre, A history of deeds, vol. 1,P. 407.

(٢٢) لمعرفة الوضع القانوني لحي البطريرك قبل وأثناء فترة الاحتلال الفرنجي، انظر:

Prawer, J., "The Patriarch's Lordship in Jerusalem", in Crusader institutions,

Oxford University Press, 1980, P. 296.

(٢٣) William of Tyre, A history of deeds, vol. 1, P.P. 507-508.23

(٢٤) مصطفى الحياري، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، ١٩٩٤م، ص ٥٣.

(٢٥) John of Wurzburg, Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, in Palestine Pilgrims Text Society (P.P.T.S.), vol. V, London 1896, Reprint, New York 1971, P.69.

(٢٦) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٧١.

(٢٧) لعماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين الكاتب (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٤٥.

(٢٨) Schaefer, K., Jerusalem, P.P. 129-130.

(٢٩) مصطفى الحياري، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، ص ٢٦.

(٣٠) أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن، (ت ٦٦٥هـ /١٢٦٦م)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٢م، ج٢، ص ١١٣. وسيشار إليه لاحقاً هكذا: أبو شامة، الروضتين. وانظر أيضاً: ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٢٢٩. وسيشار إليه لاحقاً هكذا: ابن واصل، مفرج.

(٣١) أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤م، ج٣ ص ٨٣. وسيشار إليه لاحقاً هكذا: أبو الفداء، المختصر.

(٣٢) لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ط١، ترجمة محمود عمايرة، وزارة الأوقاف والإسلام، عمان، ١٩٧٠، ص ١٣٥.

(٣٣) مصطفى الحياري، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، ص ٥٤.

(٣٤) Saewulf, The pilgrimage of Saewulf, trans. by Bishap of Lifton, in (P.P.T.S) vol., IV, London. 1895, Reprint, New York, 1971, P.24.

(٣٥) عن القديس سابا (St. Sabas) وتعاليمه وأثره في الديرانية الشرقية، انظر :
Attwater, D., The Penguin dictionary of saints, London, 1978, P.301.

(٣٦) Thompson, J. W. Economic and social history of the Middle Ages, London, 1959, P.406.

(٣٧) انظر رحلة ايو فروزين :

The pilgrimage of Euphrosine in (P.P.T.S) vol. IV, London, 1895, Reprint, New York, 1971, P.35.

(٣٨) Michael Join - Lambert, Jerusalem, trans. by Charotte Haldane. London, 1958. P.193.

(٣٩) نبيلة مقامي، فرق الفرسان الرهبان، ص ١١.

(٤٠) نبيلة مقامي، المرجع نفسه، ص ١٣.

(٤١) John of Wuzburg, description of the holy land, P. 44.

(٤٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٧٠-١٧١.

(٤٣) انظر رحلة ثيودريش: Theoderich, Theoderich's description of the holy land, trans. by Aubrey Stewart, in (P.P.T.S), vol., IV, London, 1895, Reprint, New York, 1971, P.22

(٤٤) انظر الترجمة العربية لرحلة بنيامين التطيلي التي قام بها عزرا حداد ونشرت في بغداد سنة ١٩٤٥، ص ٨٣.

(٤٥) يذكر وليم الصوري صراحة أن نصارى بيت لحم أرسلوا وفداً منهم إلى قادة الحملة الفرنجية الأولى بعد استيلائها على الرملة وطلبوا من الفرنجة الإسراع في تسلم بيت لحم.

(٤٦) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٧٦.

(٤٧) William of Tyre, A history of deeds, vol., I, P.409.

(٤٨) Josiah Russel, "The population of the Crusader state", in A history of the Crusades, vol-5: The impact of the Crusades on the Near East, ed. Norman Zacour and Harry Hazard, Madison, University of Wisconsin Press, 1985, vol.5, P. 305.

(٤٩) William of Tyre, A history of deeds, vol., I, P.507.

وانظر أيضاً مقالة :

'Magen Broshi, "The Inhabitants &Jerusalem", in City of the Great King, ed. By Nitza Rosovsky, Harvard University Press, 1996, p. 20.

(٥٠) John of Wurzburg, description of the holy land, P.69.

(٥١) بنيامين التطيلي، الرحلة، ص ٩٧.

(٥٢) Russel, "The population of the Crusader state", P.308

(٥٣) Anonymous pilgrim, in (P.P.T.S) vol., IV, London, 1895, Reprint, New York, 1971, P.P. 27-29.

(٥٤) Prawer, J., "social classes in the Latin Kingdom" in A history of the Crusades, vol. V, 1985, P.130.

(٥٥) Prawer, J., Social classes, P.145.

(٥٦) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, P.122.

(٥٧) Prawer, J., "The origins of the Court of Burgesses" in Crusader institutions,

Oxford University Press, 1980, P.P. 263-292.

(٥٨) La Monte, Feudal monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, New York, 1970, P.108.

(٥٩) بنيامين التطيلي، الرحلة، ص ٩٩.

(٦٠) براور، عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبد قاسم ومحمد خليفة، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١١٤.

(٦١) انظر الترجمة الإنجليزية لرحلة بتاحيا:

The Travels of Rabbi Petachia of Ratisbon, trans. by A. Benish and W. Ainworth, London, 1856,P.3.

(٦٢) ذكر المقريزي: (أن النصارى الأقباط في مصر كانوا يخرجون كل سنة في موسم الحج بأعداد كبيرة وبتجمل عظيم- مثلما يعمل المسلمون في موسم الحج إلى مكة- لأداء الحج والقيام باحتفالاتهم بكنيسة القيامة بالقدس) انظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة من الفاطميين الخلفا، ج٢، تحقيق جمال الدين الشيال، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١-١٩٧٣م، ص ٧٤-٧٥.

(٦٣) يحيى بن سعيد الأنطاكي، (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، تاريخ يحيى بن سعيد، نُشر مع التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لسعيد بن البطريق، تحقيق لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م، ص ١٩٤.

(٦٤) انظر رحلة الرحالة الروسي دانيال:

The pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, trans. by A. Wison, in (P.P.T.S), vol. IV, London, 1895, Reprint, New York, 1971, P.P. 72-74.

(٦٥) John of Wurzburg, Description of the Holy Land, p. 39.

(٦٦) John of Wurzburg, Ibid, P. 40.

(٦٧) Richard, J. The Latin Kingdom, P. 129.

(٦٨) Wiliam of Tyre, A history of deeds, vol., I, P.489.